الشَّبَابُ المُجَاهِدُون، بينَ الحرَكةِ والسُّكُون

بِسْمِ اللهِ القويِّ القَائل: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 46]، والصّلاة والسّلام على النبيِّ القائل: ((إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، لاَ يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ)) [رواه البخاري]، أمّا بعد:

فإنَّ من أعظمِ الفتنِ التي عصفت بهذهِ الأمّةِ في صدرِ الإسلامِ الأوّلِ، تلكَ التي حدثت بعدَ مقتلِ أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفّان (رضي الله عنه) واقتتال المسلمين فيمَا بينهم، وإن كانَ أهل العلمِ الرّاسخونَ يوصونَ بعدمِ الخوضِ في تلكَ الفتنةِ إلّا أنّي سأقف عند ما آلت إليه من الخير، على الصلح الذي تمّ بين الحسن ومعاوية (رضي الله عنهما) والذي أخبر عنه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قبل وفاته، قال الإمام البخاري (رحمه الله) في "علامات النبوّةِ": حدّثنا عبد الله بن محمد، ثنا يحيى بن آدم، ثنا حسن الجعفي عن أبي موسى عن الحسن عن أبي بكرة قال: أخرج النبيُّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ذاتَ يومٍ الحسنَ بنَ عليٍّ فصعدَ به على المنبرِ فقال: ((إنّ ابني هذا سيّدٌ ولعلّ اللهَ أن يُصلحَ به بينَ فئتينِ منَ المُسلمين)).

وقال الإمام ابن كثير (رحمه الله): "فإن الحسن بن علي لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب في جيوش أهل العراق، وسار إليه معاوية، فتصافا بصفين على ما ذكره الحسن البصري، فمال الحسن بن علي إلى الصلح، وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية، وذلك سنة أربعين، فبايعه الأمراء من الجيشين، واستقل بأعباء الأمة، **فسمي ذلك العام عام الجماعة**، لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد" [البداية والنهاية].

ثمّ إنّ الحسن (رضي الله عنه) قد خطب في النّاس بعد الصّلح فقال: "ما بين جابلص وجابلق رجل جدُّه نبيٌّ غيري، وإني رأيت أن أصلح بين أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكنت أحقهم بذاك، ألا إنا قد بايعنا معاوية ولا أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين" [أخرجه أحمد].

وفي رواية الشعبي (رحمه الله) أنه قام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد: فإن أكيس الكيس التُّقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية، إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً كان لامرئٍ كان أحق به مني ففعلت ذلك {وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}" [رواه الطبراني، والبيهقي، والحاكم، وابن سعد، وأبو نعيم، وغيرهم].

وقد عدّد الحافظ ابن حجر فوائد مستنبطة من رواية الصلح الذي تمّ بين الحسن ومعاوية، منها: "منقبة للحسن بن علي، فإنه ترك الملك لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى مصلحة الدين ومصلحة الأمة" [فتح الباري].

وعن يزيد قال: سمعت جبير بن نفير الحضرمي يحدث عن أبيه قال: قلت للحسنِ بنِ علي: "إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة؟ فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمتُ ويحاربون من حاربتُ، فتركتُها ابتغاءَ وجهِ الله" [البداية والنهاية].

وإنّه لا يخفى على متأمّلٍ في حالِ الأمّة يومها، أنّ الجهاد قد انحسرَ، والفتوحاتِ قد توقّفت، كيف لا والسّيوف كانت يومئذٍ بين مغمودةٍ اتّقاء شرّ الفتنة، أو مُوجّهةٍ على صدور المسلمين بعضهم البعض، فكان للصلح بين معاوية وسبطِ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عظيمَ الأثر على الأمّة، فزُلزلت عُروشُ الكفر، وعادتِ الأمجاد، وفُتحت في عهد معاوية ثلاث جبهات، هي جبهة الرّوم، وجبهة المغرب، وجبهة سجستان وخراسان وما وراء النّهر.

كلّ ذلك لم يكن ليحدث لولا تقديم الحسنِ بنِ علي (رضي الله عنهما) مصلحة الأمّة على مصلحته وهو من هو!

فعن الحسن بن علي (رضي الله عنهما) أنه قال: "قد رأيتُ أن أعمد على المدينة فأنزلها وأخلِّي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلت الفروج – يعنى الثغور" [الطبقات].

وعن أبي بكر المالكي: "فوقعت الفتنة ... واستشهد عثمان (رضي الله عنه)، ووُلّيَ بعده علي (رضي الله عنه)، وبقيت إفريقية على حالها إلى ولاية معاوية (رضي الله عنه)" [رياض النفوس].

وعن أبي زرعة الدّمشقيّ قال: "لما قُتل عثمان، واختلف الناس، لم تكن للناس غازية، ولا صائفة، حتى اجتمعت الأمة على معاوية" [تاريخ أبي زرعة الدمشقي].

فيا حركة الشّباب المجاهدين، يا أصحاب البطولات، يا من يشهد لهم ثرى الصّومال بأنّهم أهل المعمعات وأسود النّزال، يا من بايعتم القاعدة بعد مقتل إمام المُجاهدين أسامة (تقبّله الله)، توحيدًا للصفّ وتقويةً للشّوكةِ، فسلّيتُم يومها عن الموحّدين، وأثلجتم صدور قوم مؤمنين...

همُ الأباةُ حماةُ الدينِ يُطربهمْ *** صوتُ الرصاصِ إذا ما ثارَ رشاشُ
الكاتمون عويلَ الجوعِ إن خَذَلتْ *** أهلَ الجهادِ ولاةُ النفطِ لا عاشوا
فالصابرون على البلوى بعزّتهمْ *** أضحوا بفيءِ ظلالِ الرمحِ يعتاشوا
وجيشُ أبرهة الحبشي في غَلَسٍ *** فاضتْ بجيفتهمْ بيدٌ وأحراشُ

واليوم نسألكم؛ أما من حَسَنٍ بينكم؟! أما من رجل رشيدٍ يزنُ الأمور بميزان الحقّ لا ميزان التّعصّبِ للتنظيمات والأشخاص؟! أما من قائل بينكم: أمّتي أمّتي!

إنّا نحسبُكُم من أدرى النّاسِ بقولِ ربّ النّاسِ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: 4]، فأينَ أنتم من صفِّ المُجاهدينَ الذي توحّد في العراق والشّام وليبيا وتونس

والجزائر والمغرب وغرب إفريقية واليمن والجزيرة ومصر وخراسان والقوقاز؟ أين أقدامكم الثّقيلة التي مرّغت أنف الكفر الإفريقي في الطّين مرات ومرات؟ أينَ أنتم ودولة الإسلام قد قامت وازدانت وترسّخت بالبيعات؟ أينَ أنتم والحُكم الجبري قد انقضى عهده وولّى ونظام الحكم اليوم خلافة على منهاجِ النبوّة؟

أوَلَم تكونوا يومًا مثلنَا من الحالِمِينَ بالخلافةِ الطّامحينَ إليها والسّاعينَ لإعادتها بالسّيف والدّم؟! نعم، هكذا كنّا وهذا ما وعدنا به الإمام القائد أسامة بن لادن منذ أسّس مأسدة الأنصار –تنظيم "القاعدة" اليوم– أنّ نهاية المطاف خلافة، تلك التي وعدنا بها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، ولكن شاء الله أن يترجّل الإمام وقد أشرفنا على بلوغ المرام، وكان لا بدّ للمركب من قائدٍ جديدٍ يُكمل رحلة ذاكَ الذي قضى نحبه ثابتًا لم يُبدِّل ولم يُغيِّر، وجاء الجديد ولكن بوجهٍ آخر ومقالٍ مُختلفٍ ومنهجٍ مشبوهٍ، جاء ليرضى بالعصيان، ويقبلَ بشقِّ الصفِّ، ويقرّ الغادر على غدره، ثمّ مضى ينفث سموم الكبرِ والهوى، ويبثّ شبهاته هنا وهناك، ففرّق الجماعة وشتّت الأمّة الرّازحة أصلًا تحتَ وطأةِ التّشرذمِ والشّتات، ونبذ {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} واتّخذها وراءه ظهريًا!

يا حركة الشّباب المُجاهدين، يا من كنتم تتغنّونَ بدولة العراق الإسلاميّة، وتستشهدون بكلامِ أمرائها، ثمّ تأسّيتُم بها وأقمتم إمارةً إسلاميّةً طبّقتم فيها الحدود، وأمرتم فيها بالمعروفِ ونهيتم عن المنكر، ما الذي تغيّر اليوم حتّى لم نعد نكادُ نسمع لكم ركزًا؟ وأينَ أنتم ممّا أصاب إخوانكم الموحّدين في دولةِ الإسلامِ من بلاء، وما مسّهم من قرحٍ؟ أين أنتم من خناجرَ غدرٍ وخسّة لم تجد لها أغمادًا إلّا ظهور المؤمنين؟

ما نهاية صمتكم وحيادكم أيّها الشّباب المُجاهدون؟ فإن كنتم تظنّون أنّ في صمتكم اليوم صلاحًا، وفي حيادكم فلاحًا، فأنتم واهمون، فليس الوقتُ وقت اعتزال وحياديّة، بل وقت بيان ومفاصلة، والحقّ أبلج والباطل لجلج، ومتى ما كان ذلك فلا خير في الوقوف في منتصفِ الطّريق متذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

أيّها الشّباب المُجاهدون، ألم يأتكم نبأ الظّواهري وقاعدة أسامة من بعده (تقبّله الله)؟ بلغكم الكذب والإفك عن دولة الإسلام وشهادات الزّور والبهتان، بلغتكم التّلفيقات والافتراءات، ولم يبلغكم ما آلت إليه القاعدة بزعيمها الجديد؟ عجبي! وإنّ انحرافات القاعدة وزعيمها اليوم ليبصرها الأعمش بل الأعمى!

أرأيتم ما وصل إليه حال قاعدتكم في الشّام؟ لم يعد يشغلهم شاغل غير مساندة المرتدّين، وطعن المجاهدين، أيّ نطيحةٍ لم يُحالفوها وأيّ مُتردّيةٍ لم يُوالوها؟ تركوا اليهود جيرانهم وصوّبوا بنادقهم نحو صدور الموحّدين! أيّ خسة هذه التي وصلوا إليها؟

سلوهم إن شئتُم عن الشّريعة المُغيَّبة والحدود المُعطَّلة في أماكن تواجدهم، وسلوا أبا هريرة وهو يجدّد البيعة للظّواهري ويُشيد بـ"جيش الفتح"، سلوه عن أتباع الجولاني وشرع الله الذي أبدى الغادر –خذله الله– عدم نيّته في تطبيقه في إدلب، أم إنّ فقه المصالح الأعور قد عمّ وطمّ، والتّكاليف قد أرهقت الكاهل؟ والله (تعالى) يقول: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً} [الأحزاب: 72]، وإنّ قاعدة الظواهري اليوم قد أشفقت من الأمانة وبعدت عليهم الشقّة، فرضوا أن ينحازوا إلى صفوف الأعداء في حربهم على الدّولة الإسلاميّة –المنصورة بإذن ربّها وقوّته– ورضوا بأن يداهنوا في دين الله، ويقتاتوا على موائد الصحوات يقودهم خسيس وهرارة!

كذبوا عليكم وقالوا خوارج غلاة، وليت شعري كيف تُصدّقونهم وأنتم أيّها الشباب المجاهدون ممن اكتوى بنار هذه التّهمة قبل جنود الخلافة، أم أنكم نسيتم يوم رُميتُم بالغلو وأنّكم تقتلون من خالفكم وخرج عليكم؟ فمن تصدّر حينها للدّفاع عنكم وردّ عادية الأفّاكين؟ إنّهم أنصار دولة الإسلام ولكن...

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ *** وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

ألم يأنِ لكم أيّها الشّباب المجاهدون أن تنصتوا لخطابات زعيمكم من بعد مقتل الشّيخ أسامة (تقبّله الله)، فتتأمّلوا فيها وتتدبّروا حاله وما آل إليه؟ عودوا واستمعوا إلى "رسائل الأمل والبشر إلى أهلنا في مصر"، وقولوا بربّكم أهذا خطاب زعيم قاعدة الجهاد؟! إنّ الرّجل قد انحرف عقديًّا ومنهجيًّا وما مسالمته الطّواغيت في خطاباته، ومغازلته للحركات "الإسلاميّة" والتي هي في حقيقتها علمانيّة، وزعمائها ضمنًا ولين الخطاب لهم، كحركة حماس، والنهضة، ومرسي وجماعته، وإضفاء الشّرعيّة عليهم، حتّى بات واضحًا وضوح الشّمس، أنّ الرّجل إنّما يسعى لبسط نفوذ "سلميّته" التي ظاهرها "جهاد" وباطنها خوار، وضرب الطّائفة المنصورة والقضاء على الجهاد الحقّ، ثمّ قبوله بتحالف صِبْيَتِه في الشّام مع المرتدّين، ما كلّ ذلك إلّا دليل على أنه قد حاد عن المنهج القويم وضلّ وبغى.

وإنّ نهج الظواهري المشوّه هذا وبلاعمته أمثال المقدسي منظّر القعود، ليس بالمنهجِ الجديد وإنّما كان مستترًا لم يفضحه إلّا مقتل الشّيخ أسامة (تقبّله الله)، أسامة الذي لم يكن قطّ يفرّق في قتالِ الأعداء بين عدوٍّ بعيدٍ وآخر قريب، وعدوٍّ يلبس الصّليب وآخر يُطيلُ لحيته ويقرأ من كتابِ الله!

عودوا وانظروا كيف كان خطابه أول حربه على الدولة الإسلاميّة، لم يترك نقيصة حينها إلّا ورمى بها أمير المؤمنين –حفظه الله– وجنوده، فجعل منهم حروريين أحفاد بن ملجم، ولم يترك سهمًا إلّا ونضاه من كنانته عليهم، ولمّا خاب وخسر، عاد بخطابٍ ثانٍ ولكن بأسلوبٍ مختلفٍ، خبيثٍ متلوّن لعلّه يكبح جماح المنشقّين عن قاعدته من إخوة التّوحيد، فخاطبَ خليفة المسلمين –نصره الله– بعبارات التّبجيل والاحترام، بل ونفى عنه وعن جنوده جميع تلك التّهم التي كان قد رماهم بها سابقًا!

يعطيك من طرف اللّسانِ حلاوةً *** ويروغ منكَ كما يروغ الثّعلبُ

وما أبلغ كلمات الشّيخ أبي مصعب الزّرقاوي (تقبّله الله) إذ يقول: "وأمّا نفاقُ المنهجِ اليوم فإنَّ أخطرَ وجوهه الوطنيّون والمنتسبون للسّلفِ زورًا، فهم يُلبّسونَ على النّاسِ أمرَ دينهم، ويخدعون الجهّالَ بمقاتلتهم الأعداء، وسعيهم إلى تحرير البلادِ من نيرِ المحتلّ، وهم في الوقتِ ذاتهِ يُسرّون العداء

للشّريعةِ، بمحاربةِ دعاتها، شعروا أو لم يشعروا، علموا أو لم يعلموا، ولعمر الله (تعالى)، إنّ هؤلاء هم العدوّ القادم، وهم من جنس شرٍّ غائبٍ منتظرٍ، وسيستخدمهم الصّليبيون لضربِ المُجاهدين" [من كلمته "فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ"].

اعلموا أيّها الشّباب المجاهدون أنّ قاعدة أسامة قد ولّت وقضت بقضاءِ شيخها عليه من الله رحمات تترا، أمّا ما ترونه اليوم من فروع هنا وهناك فـ{عجلًا جسدًا لهُ خُوار}، ألقوا نظرة على فروعها، أين القاعدة في خراسان؟ وأين هي في اليمن وفي الجزائر؟ أين رجالها؟ إمّا قد قضوا، وإمّا قد بايعوا دولة الإسلام ودخلوا في طاعة الإمام –أعزه الله– وإمّا على خُطى الظّواهري يسيرون!

أيّها الشّباب المُجاهدون، لا يغرنّكم الظّواهري وباعه في الهجرةِ والجهاد، فليس السابق من سبق بعيره أو فرسه، ثمّ أرهقه التعب فقعد قبل انتهاء الطريق يُشاغب على غيره من المتسابقين ويحتالُ عليهم، وإنّما السّابق من ثبت ووصل ولو بعد حين، ثمّ انظروا أين وصل الضلال بالظّواهري، ها هو يبايع الملّا أختر بكلّ جرأةٍ ووقاحةٍ، أختر سليل الطّواغيتِ الجديد، وصديق إيران المجوسيّة، ألم تروا وفد طالبان الكذّابة إليها واعترافها بها كـ"جمهورية إسلاميّة"؟!

عجبا حكومة إيران الرافضية دولة إسلامية، ومن أعادوها خلافة على منهاج النبوة دولة حرورية؟!

طالبان التي راوغت الأمة وضحكت عليها لسنين باسم الملّا عمر، والملّا عمر قد ماتَ وأفضى إلى ربه! أهذا هو خليفتكم؟! تتركون الحسينيّ القرشيّ حفيد نبيّكم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وتبايعون ذنبًا من أذناب الطّواغيت؟

أيّها الشّباب المجاهد، يمّموا بوجوهكم شطر اليمن وشمال وغرب إفريقية وأجيبوا: أما آن لكم أن تضعوا أيديكم في أيدي إخوانكم هناك، فتقوى شوكتكم، ويشتدّ عودكم، ويثبت بنيانكم، ويُقهر عدوّ الله وعدوّكم؟

أما آن لكم أن تُعلنوها مدويّة بيعةً لأمير المؤمنين وخليفة المسلمين أبي بكر الحسيني القرشي حفظه الله ورعاه؟! أما آن لكم أن تخرجوا من ضيق التّنظيم إلى سعةِ الدّولة؟

ولا يفتتنكّم الظواهري عن سبيل الحق، فها هي البيعات لدولة الإسلام، البيعة تلو البيعة، ولله الحمد، من مشارقِ الأرضِ ومغاربها، وليس الظواهري بأعلم ولا أفقه من أمراء الأمصار الذين بايعوا واستجابوا لداعي الله و{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}.

ووالله ما ندعوكم عن ضعفٍ، ولكن استجابةً لقولِ الله (تعالى): {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 46]، ونصرةً لدينه، ثمّ خوفًا عليكم من أن يضيع سبقكم وجهادكم، فالله الله في توحيد الكلمة، والله الله في تقويةِ الصفِّ، والله الله في بيعةٍ تُثلجون بها صدور قومٍ مؤمنين، وتغيظونَ بها الكفّار والمرتدّين والمنافقين. فتحركوا إليها أيها الحركة، وإياكم إياكم والسكون!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبت أمُّ صفيّة المُهاجرة